قهوة العصر

واشتد برد الليل في اوائل السحر
وفي مهب الريح ، في مفترق الدروب
توقفت خيولنا العجفاء في الحفر
باركة في الطين ، من يسقط في الطريق لا يؤوب .
ونحن في الضباب لا علامة تبدو ولا خبر .
ولو رأينا أي شيء يشبه الشجر
كنا احتطبناه ، وفي الظلام
لا تعثر الايدي على شيء سوى محطم الصخر .
والريح تشتد ولا نملك استارا ولا خيام .
فكم تحسرنا على النيران في الشتاء
وكم تحسرنا على الصيف ، على المساء
في شرفات ينعس اللبلاب فوقهن ، والنهر
تكركر النبات في شاطئه الرملي ، في حديقة الخضر .

* * *

وغمغمت اميرتي الصغيرة :
« متعبة ، احس في رأسي صداعا ، لا تمل انت من منيره
فكلما جاءت الينا رحت قربها تلوب
تطيل في عيونها النظر .
هالو . انا . متعبة ، احس رأسي صار كالحجر
معذرة لن نخرج الليلة . ماذا ؟ زهرة الغروب ؟
تفتحت على النهر ؟
شكرا . تحياتي الى امك .
هذه الصغيرة اللعوب
ترهقني .
أي صداع ! لا احس رغبة « في قهوة المساء . »
« كل العصافير مع الغروب
رجعن .
أين انت
يا صغيرة الجنوب ؟ »
وحينما تختبيء النجوم في الشجر
يحملنا الدخان
اشرعة الى مقاهي الشاطيء الخافتة القمر
فنشرب الشاي ، وفي الطريق تنعس الاضواء كالسحر
فتحلم اليدان
بامرأة ينزلق القميص عن اكتافها الكثيرة الحنان
ونسمع الحفيف في الحرير والشجر .
وعند حاجز المطار كل شيء انتهى

وذاب في الظلام وجهها الصغير .
فمن يدق الباب ساعة المساء ؟
ويحمل الشموس في اليدين والرداء ؟
ومن سواها يملأ السرير
في ليلة الشتاء ؟
فعند حاجز المطار كل شيء انتهى .
فلن تشم في السحر
تفتح الجوري في قميصها الحرير .
ولن تذوق الماء باقة الزهر
في القدح الصغير .

* * *

« مرهقة الاعصاب ، لا اطيق ان انام
يقتلني الفراغ في الاريكه
وهذه الستائر الداكنة السميكه .
اسمع قلبي ساعة تتك في الظلام
في الصمت . هذا الوهج في التفاحة الوضيئه
يقتلني ، وهذه السجائر الرديئه .
ابق معي الليلة ، كلمني ، باي شيء
تحلم ، لا اطيق ان اراك
تطيل في الستائر النظر .
خذ قهوة . اسمع ، تكلم .. »
هذه الظلال كالشباك
يلقي بها في الليل صيادون في النهر .

* * *

وعندما قامت حوالي الظهر والنعاس في عيونها الجميله
وفي يديها ــ انها تقرأ طول الليلي او تغرق في ثرثرة طويله ــ
قالت : « اذا شئت شربنا الشاي في السرير . »
وانزلق القميص عن كتفين .. يا قميصها الحرير .
وفي مهب الريح والخيول لا تسير
والبرد يشوينا وتحثو الريح في وجوهنا التراب
كنا توقفنا . وفي المقهى رأيت امرأة وحيده
قلت : تقابلنا ، ولكن أين ؟
« في الطريق ..
اذكر في امسية بعيده . »
قلت : بلى ، في الليل تقريبا . اتشربين ؟
قالت : « اذا شئت . »
وفي غرفتها الجوارب الطويله
كامرأة قتيله
او مومس هزيله
انهكها السعال ، ملقاة على السرير .
قلت : هو الشتاء والحفر .
قلت : هو القش .. فيا طفولتي الخضراء كالقمر
ويا صبايا الريف والضفائر الطوال
آه على اثوابكن .. يا حدائق الشموس والظلال
كأنما يشتعل الربيع بالزهر
وتملأ السلال .
آه على صباي .. يا حوافر الزمان ،
يا قشة في الريح ، يا برودة الحجر .
أسمع صوت الريح في الهشيم
في القش ، في ضلوعنا الرميم .
شكرا . اذا رأيتها قل انه عاد الى جنونه القديم .
جف على صورتها الدخان .
قلبي علاه صدأ الزمان
عض على الليل ، على الحجر .
شكرا رفيقات الصبا الحسان
تهشمت حمجمة القمر .

موسكو

حسب الشيخ جعفر